محمد بن عبدالوه

(1 ـ 3)

كلمة لابد منها

في تعليقه على الإجراءات والقرارات الإصلاحية التاريخية، التي أصدرتها حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز في المملكة العربية السعودية في الأسبوع الماضي قال الزميل الأستاذ جمال خاشقجي رئيس تحرير صحيفة «الوطن» السعودية التي يمتلكها الأمير خالد الفيصل رئيس (مؤسسة الفكر العربي) ونجل الملك الراحل فيصل بن عبدالعزيز إن التغييرات الأخيرة التي شهدتها المملكة تأتي في سياق الإصلاحات التي بادر بها الملك الراحل فهد بن عبدالعزيز لتوسيع دائرة المشاركة السياسية من خلال قيام مجلس الشورى، ثم واصلها ولايزال خلفه الملك عبدالله الذي انتقل بالإصلاحات إلى مرحلة جديدة تتميز بالانفتاح والحوار الوطني ومكافحة التطرف والإرهاب والاعتراف بحق حملة الأفكار الوطنية المختلفة في التعبير عن آرائهم ورؤاهم، وتمكين المرأة من المشاركة في الحياة العامة وإنهاء الأحادية الشمولية التي كانت تفرض رؤية فقهية أو مذهبية ضيقة ومتزمتة.

وأضاف جمال خاشقي في مقال له صدر بعد يوم واحد من إعلان القرارات الإصلاحية الأخيرة في السعودية :((لقد شهدت السعودية منذ إطلاق الحوار الوطني انفتاحاً في الكتابات والأراء النقدية لمختلف ألوان الطيف السعودي في الصحف ووسائل الاعلام والحياة العامة في السعودية، وبوسعنا التأكيد على أننا سنسمع بعد اليوم في السعودية أن هناك رأياً آخر يقول بكذا)).

ولما كانت صحيفة « 14أكتوبر » قد تفاعلت مع ما تشهده المملكة العربية السعودية الشقيقة من إصلاحات وانفتاح داخلي وخارجي على يد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز من خلال تغطية الإصلاحات والتحولات التي تحدث في المملكة ودول مجلس التعاون في صفحة يومية خاصة وأعادة نشر الكثير من الأراء النقدية التي تنشرها وسائل الإعلام السعودية والخليجية فإنه يسرها أن تعيد اليوم نشر هذا المقال للداعية الإسلامي السعودي الكبير الشيخ/ حسن بن فرحان المالكي الذي تنشر له الصحف اليومية والأسبوعية والقنوات الفضائية السعودية العديد من المقالات التي تعبر عن اراء ورؤى جديدة وغير مسبوقة لم يكن متاحاً التعبير عنها بحرية وعلنية على نحو ما يجري اليوم في هذا البلد الشقيق الذي يشهد إصلاحات عميقة تحت قيادة حكومة الملك عبدالله بن عبدالعزيز ، نالت إعجاب مختلف القوى الخيرة في الوطن العربي والعالم.

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد.

فإن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله كان له دور دعوي؛ امتد أثره إلى كثير من المسلمين في العالم؛ فضلاً عن المسلمين داخل الجزيرة العربية.

محمد بن عبد الوهاب رحمه الله داعية ؛ لا خلاف في هذا بين المنصفين من أهل العلم.

إنما الخلاف مع فئتين من الناس؛ مع من يكفره أو يفسقه أو يشكك في أهدافه، ومع من ينزله منزلة الأنبياء المعصومين.

فقولنا: (داعية) رد على من يكفره أو يفسقه، وقولنا: (ليس نبياً) رد على من يغلو فيه.

ومحمد بن عبد الوهاب رحمه الله كسائر الناس فيه بين قال وغال، ونحن نحاول أن نعرف ما له من حق وأثر؛ فنعترف به، ونرجو له عليه الأجر العظيم، ونعرف ما له من أخطاء؛ فنستغفر له، مع بيان هذه الأخطاء للناس؛ حتى لا يتأثروا بها؛ سواء أكانت في الإيمانيات (العقائد) أو الأحكام.

وقديما قيل (زلة العالِم زلة عالَم)، فلهذا يجب على أهل العلم؛ أن يبينوا أخطاء العظماء؛ مع الاعتراف بفضلهم؛ فيدفعون الناس للتوسط في هذه الأمور بلا إفراط ولا تفريط.

وكتاب التوحيد أو كتاب كشف الشبهات أو غيرهما من كتب الشيخ، إنما ألفها بشر يخطئ ويصيب، ولم يؤلفها ملك ولا رسول، فلذلك من الطبيعي جداً أن يخطئ، ولا مانع شرعاً ولا عقلاً ومن وقوع الأخطاء من الشيخ، سواءً كانت كبيرة أو صغيرة، كثيرة أو قليلة؛ فقهية أو عقدية (إيمانية).

فإذا جوزنا هذه المقدمة البسيطة، سهل الحوار والنقاش، أما إن لم نجوز هذه المقدمة؛ فهذا من الغلو الذي لا يرتضيه الشيخ نفسه، ولا المخلصون من أهل العلم، بل لعل جُل دعوة الشيخ ترتكز على نقض (الغلو في الصالحين[2]، وعلى هذا فعدم الإقرار بالمقدمة السابقة يعد انتكاسة سلفية خطيرة، تذهب بجهود الشيخ أدراج الرياح، بين محبيه وأتباعه قبل خصومه وأعدائه.

لن أطيل هذه المقدمة وأختصر هنا قائلاً : نعم كان لي قراءة نقدية لكشف الشبهات، وقراءة نقدية أخرى لخمسة مجلدات من الدرر السنية تخص العقائد[3]، وقد استخرجت ما في كتاب كشف الشبهات، من محاسن ونبهت على ما فيهما من ملحوظات، ثم جمعت الملحوظات على كشف الشبهات في مسودة، وأعطيتها ثلاثة من الإخوة للاستشارة وإبداء الرأي، فقام أحدهم ونشرها ربما بحسن نية[4]؛ وقد عاتبته على هذا عتاباً شديداً وأنكر أن يكون نشرها مع أن الاتهام بقي موجهاً إليه وقد افترقنا بعد هذه المعاتبة، ولكن رب ضارة نافعة، فلعل نشر المسودة هو ما شجعني لنشر العمل كاملاً نشراً عاماً بعد أن كنت أنوي تقديمه لبعض من يعز عليّ من أسرة الشيخ من باب النصيحة.

وبما أن النسخة عبارة عن (مسودة) لا تعبر عن وجهة نظري، لعدم تضمنها مقدمة عن الشيخ ورأيي فيه جملة؛ فإنني رأيت الآن أن من المناسب نشر النسخة الصحيحة (المبيضة) التي تعبر عن وجهة نظري متكاملة وعنوانها (قراءة في كشف الشبهات)، وليس (نقض كشف الشبهات) [5]! كما أشاع بعض الناس، كما أنها لم تطبع أيضاً كما ظن بعضهم.

وستكون القراءة النقدية لكشف الشبهات تحت هذا العنوان الأخير (محمد بن عبد الوهاب داعية وليس نبياً)، وعلى هذا سيتضمن الكتاب عملين رئيسين :

الأول : قراءة في كشف الشبهات.

الثاني : الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتبه ورسائله الأخرى (وهي عبارة عن نماذج من أقواله وآرائه في التكفير[6] تستدعي المراجعة من طلبة العلم ولا يضير الشيخ إن أخطأ فكل بني آدم خطاء).

سيجد القارئ في ثنايا هذا البحث أنني قد استخدم لفظة (الوهابية)، ليس من باب الذم الذي يفعله خصومها أو أنها مذهب جديد؛ وإنما من باب كونها تياراً فكرياً له تاريخه وخصائصه ومصنفاته وشيوخه.. مع أن كلمة (الوهابية) ليست صفة ذم حتى لو كانت مذهباً، فالمذهب الذي يعتمد على أدلة صحيحة لن يضره الاسم الجديد ولا تسمية الناس له، كما أن التيار أو المذهب الذي يبني فكره وعمله على أدلة ضعيفة؛ لن ينفعه التسمي بأحسن الأسماء فالعبرة بالإيمان وصحة العلم والعمل وليس بالتسمي ولا بالتمني.

وقد كان علماء الدعوة يجيزون استخدام (الوهابية) ويرددونها في كتبهم محد دون خوف من اتهام بمذهب، بل ربما ألفوا الكتب والرسائل في عقائد الوهابية ودعوتهم ولا ضير في ذلك[7].

وختاماً:

آمل من الإخوة المهتمين بهذه القضايا أن يقرؤوا هذا العمل بإنصاف وطلباً للحق (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى)، فالحق أحق أن يتبع وكل يؤخذ من قوله ويرد، كما آمل أن ما نشر في بعض وسائل الإعلام عن (المسودة) يكون مشجعاً لقراءة (المبيضة) ولا أمانع من إبداء الملحوظات، بل إنني أطلبها من أهلها، وأشكر من أسدى إلي ملحوظة؛ لكنني أشترط في قبولها أن تكون صحيحة، أما ما يفعله البعض من محاولة المغالطة والتهويل وبتر النصوص ونحوه؛ فهذا الأسلوب أظن أنه أصبح ممقوتاً مهجوراً عند المنصفين من طلبة العلم، فلذلك لن أشغل نفسي بتتبع هذا الصنف من الناس، فلو فعلنا ذلك لما عملنا شيئاً، ورحم الله المتنبي[8].

بقلم: الداعية الإسلامي
الشيخ / حسن بن فرحان المالكي

ولا ريب أن المسلم ليفرح عندما يهيئ الله مصلحين ومجددين لهذا الدين، فالله يبعث في كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها -كما جاء في الأثر على ضعف في إسناده- ولا أستبعد أن يكون الشيخ واحداً من هؤلاء، ولو في جانب من الجوانب، خاصة إذا علمنا أن لفظة (من) الواردة في الأثر قد تطلق على المجموع وليس على فرد، فيصبح الشيخ مجدداً مع آخرين في ذلك القرن.

وقد كان مع الشيخ في القرنين الأخيرين مجددون نفع الله بهم، كمعاصره العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، وهو أعلم من الشيخ وأحسن أثراً، لكن الشيخ أنشط منه في الدعوة، ثم الإمام الشوكاني بعد الشيخ بقليل، ثم في مصر الشيخ حسن البنا والعلامة المودودي في باكستان وشبه القارة الهندية، والشيخ جمال الدين القاسمي في الشام والمهدي السوداني في السودان وغيرهم كثير.

فكان لهؤلاء وغيرهم -مع ما صاحب هذه الدعوات من أخطاء- الدور الكبير في عودة المسلمين للإسلام وتصحيح الأخطاء سواءً في الإيمانيات أو الأعمال.

وكانت دعوات هؤلاء المصلحين دعوات إسلامية في الجملة، وكونها إسلامية لا يعني أنها خالية من الأخطاء؛ وهذه المسألة لم يدركها كثير من أتباعهم؛ الذين بهرهم شعاع هذه الدعوات الإصلاحية عن إدراك بعض الأخطاء؛ التي صاحبت دعواتهم ثم كان لهذه الأخطاء أثر سلبي على بعض طلبة العلم؛ الذين غلوا فيهم ومنعوا من نقد أخطائهم، وجعلوهم في مرتبة الأنبياء المعصومين وهنا يأتي الواجب على طلبة العلم المعتدلين، في توضيح المسألة ونقد هذا الخلل؛ الذي من أجله حارب هؤلاء وتعبوا ودعوا الناس.

والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ليس بدعاً من هؤلاء، فمثلما غلا أتباع حسن البنا فيه، وغلا أتباع المهدي في المهدي، وكذا فعل مقلدو الشوكاني والمودودي وغيرهم؛ فقد ظهر في زمن الشيخ محمد وبعده من أتباعه من يغالي في الشيخ غلواً كبيراً، ويتعصب لكل ما كتبه في رسائله وفتاواه؛ بل وحكمه على الأحاديث، وآرائه في الأمم والدول والأفراد وغير ذلك.

ثم غلا هؤلاء حتى تركوا جزءاً كبيراً من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، التي كانت في ذم (الغلو في الصالحين)، فالغلو في الصالحين من المحاور الرئيسة التي كان الشيخ رحمه الله ينقدها، فأصبحت هذه المسألة المحورية من أساسيات العقيدة عند الغلاة من أتباع الشيخ محمد رحمه الله[9].

وساعد في غلوهم غلو الطرف الآخر؛ من الصوفية والشيعة والمقلدة من أصحاب المذاهب الأربعة؛ الذين كذبوا على الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وزعموا أنه جاء بدين جديد، وأنه ادعى النبوة، وأنه يبغض النبي صلى الله عليه وسلم ويستهين به، وغير ذلك من الأكاذيب أو الإلزامات الباطلة.

فأدى هذا الغلو من الخصوم إلى غلو مضاد من بعض أتباع الشيخ الذين اعتبروا كل من خطأ الشيخ خصماً للدعوة الإصلاحية، ومن خصوم العقيدة السلفية، وقد يبالغ بعضهم ويجعل هذا من خصوم الإسلام!.

وهذا ليس غريباً فكل زعيم ديني يظهر في أتباعه غلاة؛ يعتبرون الرد عليه رداً على الإسلام نفسه، وهذا لب الغلو الذي نذر الشيخ نفسه في ذمه والتحذير منه ومحاربة أهله باللسان والسيف.

ثم هناك أمر آخر ينبغي التنبه له لأهميته، وهو أن خصوم الشيخ وغلوهم في تكفيره وتبديعه؛ ساعد التيار المغالي في أتباع الشيخ وتلاميذه بالظهور، والنطق باسم الدعوة، واحتكار الدفاع عن العقيدة السلفية، والغلو في ذم المخالفين، مع الغلو في الدفاع عن أخطاء الشيخ، فأصبح ما دعا إليه الشيخ مهجوراً من الخصوم والأتباع، على حد سواء إلا من رحم ربك[10]، وهذا ظاهر في زمننا هذا، فليس هناك إلا غلو في الشيخ أو غلو ضده، وليس عند المغالين من الطرفين استعداد للحوار الهادئ البعيد عن التعصب، وعلامة المغالي ضد الشيخ أنه لا يقبل إلا وصفه بكل سوء، كما أنه من علامة المغالي فيه - وهو ما يهمنا في هذه الرسالة- أنه لا يقبل نقد الشيخ، ويستعظم تخطئته، وكأن تخطئته من علامات الردة عن الإسلام، فمن وجدتموه يعترف بأن الشيخ قد أخطأ أو عنده استعداد لقبول هذا فهو معتدل، ومن رفض الحديث في الموضوع فهو من الغلاة، وهذا يطرد في جميع أصناف الغلاة، سواء الغلاة في أحد الصحابة، أو العلماء أو الأئمة الأربعة ...الخ.

وقد تشوهت صورتنا -نحن طلبة العلم في المملكة- بأننا لا نعترف بأخطاء الشيخ، وأننا نعده معصوماً ولا نقبل النقاش في تخطئته والرد على ما أخطأ فيه، وأنه أصبح عندنا كأحد الأنبياء، وغير ذلك من الاتهامات التي -للأسف- يساعد على انتشارها بعض الغلو الموجود عندنا في الشيخ.

فمن هنا جاءت هذه المراجعة لكتاب مشهور من كتب الشيخ محمد واسمه (كشف الشبهات) انطلاقاً من عدة أمور:

الأمر الأول: أن أي منجز بشري يحتاج من وقت لآخر للمراجعة والنقد، ولا عيب في هذا لا شرعاً ولا عقلاً.

الأمر الثاني: أن بعض الأخطاء التي وقع فيها الشيخ وخاصة في التكفير؛ قد أوقعت كثيراً من طلبة العلم فيها تقليداً أو مغالاة، داخل المملكة وخارجها.

الأمر الثالث: إحجام كل طلبة العلم في المملكة تقريباً عن بيان تلك الأخطاء؛ فأصبح بيانها (فرض عين) على كل طالب علم قادر، وبعد هذا النقد -إن سمح له بالنشر- يصبح الفرض كفائياً؛ إن فعله البعض سقط عن الباقين ولعلي من ذلك البعض إن شاء الله.

الأمر الرابع: من حق كل طالب علم في المملكة أن يذب تهمة الغلو عن نفسه، وعن أبناء بلده فكثير من الناس يعرضون عن الأخوة الدعاة القادمين من المملكة؛ بحجة أنهم يكفرون المسلمين وأنهم يتمحورون حول الشيخ محمد بن عبد الوهاب لا حول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ هذا معنى ما قرأته في بعض الكتب التي تنتقد غلونا في الشيخ، وهذا أيضاً معنى ما سمعته من بعض الأخوة الذين خرجوا للدعوة خارج المملكة نقلاً عن تصورات بعض المسلمين، وقد اشتكى هؤلاء الدعاة من الصدود والإعراض من الناس، وهذا الصدود والإعراض نتحمل جزءاً كبيراً من مسئوليته، وإن حاولنا أن نتغافل عن هذه المسئولية أو ننكرها.

فمن حقنا أن نرفع من سمعة ديننا وأنفسنا ووطننا - وطن الحرمين الشريفين - بأننا لا نتبع إلا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) وأننا لا نتمحور إلا حول قال الله وقال رسوله، وأننا -وإن كنا ثمرة جهود الشيخ رحمه الله- إلا أننا:

لا نجعله نبياً معصوماً
بل نخضع أقواله لأحكام الشريعة
ولا نجعله فوق الشرع
بل هو وكل العلماء بل وكل الصحابة محكومون بالشرع
كل يؤخذ من قوله ويرد
وكل يستدل لقوله لا بقوله
وكل لم ينزل من السماء
وكل مأمور بالرجوع إلى الأدلة الشرعية لا إلى أقوال الرجال..

هذه هي السلفية الحقيقية .

فهذه القواعد العظيمة تطبق على الجميع، ويجب أن يحترمها ويلتزم بها الجميع، ويجب أن يعرف العالم أن هذه هي عقيدتنا[11] وهذا هو مذهبنا لا مذهب لنا غيره، وأننا مستعدون لنقد أخطاء علمائنا مع الاحتفاظ لهم بمحبتهم والدعاء لهم وتقدير جهودهم، فلا تناقض بين الأمرين إلا على المغالين من الطرفين.

فمن رأى أن حبنا لهم يمنع من نقدنا لهم فهو مغال فيهم ، ومن رأى أن نقدنا لهم يمنع من حبنا لهم فهو مغال ضدهم ، فالحب والنقد، التقدير والمؤاخذة، كل هذا يسير بلاً تناقض ولا طغيان طرف على آخر، ومن لم يعقل هذا فلن ينتفع بحوار ولا جدال ولا برهان، لأن هذه من أساسيات العلم والإنصاف.

سؤال:

وهناك سؤال يطرح نفسه وهو أن البعض قد يقول: كلامك هذا صحيح من حيث النظرية؛ ولكن التصحيح لا نسمح به من المالكي ولا فلان أو فلان! وإنما نسمح به من علماء (مؤتمنين)! على الدعوة!.

و للجواب أقول:

أولاً: لا يجوز للمصلح أو الباحث أن ينتظر حتى يقرر الآخرون أنهم يقبلون منه أو لا يقبلون، فالشيخ محمد نفسه لم ينتظر هذا من علماء زمانه، وإنما كان يعرض عليهم الدليل ويطالبهم بالدليل، مع أنهم كانوا يرونه أقل علماً وفضلاً، وكذلك فعل العلماء والدعاة عبر العصور.

فالواجب على المصلح أن يعرض الحق مع أدلته، ويرد الباطل دون انتظار أن يرضى الطرف الآخر أو يسخط، فالدين ليس حكراً على فئة من الناس، وإنما هو للجميع ثم يحاسب الشخص على أدلته وبراهينه، ويرد عليه بالدليل والبرهان إذا كان طالب حق.

ثانياً: هذه المقولة من قصر التصحيح على بعض الناس باطلة؛ وقد رددها كفار قريش بقولهم (وقالوا: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)، فقد كان الذي منع كثيراً من الكفار عن الهداية أنهم لم يرتضوا البيت الهاشمي للنبوة! وكانوا يريدون أن تظهر في بيوتات أخرى (مؤتمنة على مصالح قريش!) لكن الله عز وجل لم يستجب لهم فالله (أعلم حيث يجعل رسالته).

وكل المصلحين على مر التاريخ يواجهون هذه الشبهة؛ مع أن الحق وقوله فرض على كل مسلم، وليس مختصاً بفئة من الناس، ولا منطقة من المناطق، ولا أظن عاقلاً متديناً من طلبة العلم يرى هذا الرأي(الجاهلي)؛ الذي بعث بنقضه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، قبل أن يقوم بنقده الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتابه المشهور (مسائل أهل الجاهلية).

ثالثاً: النيات علمها بيد الله عز وجل وكم من شخص يؤتمن فيخون، وكم من آخر يظن به الظنون وهو خير للإسلام من ألف من أمثال الرجل المؤتمن، وعلى هذا فلنترك البحث في النيات لله، وننظر في الأدلة وأيها أقرب لكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم).

رابعاً: المؤتمنون ما زالوا ساكتين! وإلى الآن لم يبينوا الأخطاء التي وقع فيها بعض علماء الدعوة؛ حتى اغتر بتلك الأخطاء بعض الشباب والحركات التي تتسرع في التكفير وترمي به الأبرياء، ولا أريد ضرب الأمثلة، فهي واضحة للجميع، ولا أظن (المؤتمنين) سيتركوننا لبيان الحق، فضلاً عن المشاركة في ذلك، لأن مصلحتهم - لا مصلحة الإسلام- تقتضي المعارضة لكل ناصح، والتشكيك في نيته ومنهجه، وما زالوا بحاجة لجهاد نفس ووقت أطول حتى يصلوا هذه المرحلة التي نراها ضرورية في هذا الزمن أكثر من أي وقت مضى.

على أية حال : لابد أن يكون عندنا الشجاعة للمبادأة بنقد أخطائنا، وتصحيح بيتنا الداخلي، وعدم الخجل من ذلك، لأن الأمر دين وليس مناورة سياسية.

والخلاصة أقول:

كل العلماء عبر العصور يجب علينا محبتهم وتقديرهم ومعرفة فضلهم؛ لكن دون تقديس ولا مجاملة لهم على حساب الحق، فالحق يجب أن نعمل على إظهاره، وتبرئة الكتاب والسنة من

←